الرقم الدولي المعياري للمؤتمر (معتمد ومصنف دوليًا) ISBN 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

المؤتمر الدولي الحادي عشر للغة العربية

22 - 24 أكتوبر 2025م الموافق 30 ربيع الآخر - 2 جمادى الأولى 1447هـ

دبي - الإمارات العربية المتحدة

الهيئات العربية والدولية أعضاء المجلس الدولي للغة العربية

معاني القرآن بين الفرّاء وقطرب:
دراسة مقارنة في الأدلة والمسائل اللغويّة

الباحثة
إيمان عبد المالك أبو حرب

طالبة دكتوراه في فلسفة اللغة العربيّة وآدابها

جامعة الشارقة
المؤتمر الدوليّ السنويّ للغة العربيّة
iman.abouharb@gmail.com

دبي
23-25 أكتوبر 2025

الملخص

لقد كان القرآنَ الكريمَ محور دراسات ومصنّفات لا تحصى، تناولته بالبحث والتحليل والتفسير، فظهرت علوم مختلفة تدور في فلكه، منها الفقه وأصوله، وعلوم القرآن وتفسيره. وخرجت أيضًا العديد من التصانيف في اللغة والنحو، اتخذت من القرآن الكريم مصدرًا ومنبعًا لقواعد اللغة، وأصلًا للاستشهاد والاحتجاج. إذ عُدَّ علم النحو من أدوات فهم تفسير القرآن، فنشأت كتب معاني القرآن التي ربطت بين النحو والتفسير لبيان ما استشكل فهمه من ألفاظه، ومن هذه الكتب "مشكل إعراب القرآن ومعانيه" للفرّاء، وكتاب "معاني القرآن وتفسير مشكل إعرابه" لقطرب.

يهدف هذا البحث إلى إجراء دراسة مقارنة بين الفرّاء وقطرب في كتاب كلّ منهما في تفسير معاني القرآن الكريم، من خلال تتبّع مناهجهما في عرض المعاني، وتحليل الأدلة اللغويّة والنحويّة التي اعتمداها. وينطلق من إشكاليّة مركزيّة، مضمونها: هل اعتمد الفرّاء وقطرب على أدلّة احتجاج واحدة؟ هل تناول الفرّاء وقطرب قضايا لغويّة واحدة؟ ما هي نقاط الاشتراك أو الافتراق بين الفرّاء وقطرب؟

المنهج والمنهجيّة: وقد اتبعت في هذا البحث المنهج الوصفي المقارن، إذ ذكرت بعض النقاط المختارة ووصفت طريقة تناولها عند كلّ منهما، مع ذكر الفرق أو الاتفاق والاختلاف إن وجد، ثم أتبعت بعض المسائل أمثلة لتوضيح المراد من النقاط المطروحة، ولم أعقّب بشرح أو ترجيح إذ إنّ الدراسة هي وصفيّة مقارنة لمعرفة المشترك والمختلف بين الكتابين.

وقد خلصت الدراسة أن الفرّاء اعتمد في تفسيره على القراءات القرآنيّة المتواترة، والشعر العربيّ، والرواية، في حين مال قطرب إلى توظيف اللغة من منظور وصفيّ واستقرائيّ، مستعينًا بكلام العرب وأمثلتهم دون تقيد صارم بالمأثور.

وكشفت الدراسة عن اختلافات منهجيّة جوهريّة بين العالمين في توظيف القراءات والاحتجاج بالأثر. كما بيّنت أن الفروق النابعة من الخلفيّة النحويّة لكلّ منهما أسهمت في تباين دلاليّ في تفسير بعض الآيات. ويخلص البحث إلى أن الجمع بين مناهج القدماء يثري الفهم التفسيريّ للقرآن الكريم، ويبرز التنوّع المعرفيّ في التراث العربيّ الإسلاميّ.

الكلمات المفتاحيّة:

الفرّاء، قطرب، معاني القرآن، النحو، القراءات القرآنيّة.

Abstract

The Noble Qur’an has served as the focal point of an immense body of scholarly inquiry, generating a vast corpus of works encompassing analysis, exegesis, and methodological engagement. These efforts gave rise to a variety of disciplines, including Islamic jurisprudence and its foundational principles, Qur’anic sciences, and exegetical traditions. Simultaneously, the Arabic linguistic tradition produced numerous grammatical and philological treatises that regarded the Qur’an as both a linguistic source and a foundational reference for syntactic and morphological rules, often employing it as a primary medium for citation and argumentation.

Arabic grammar, in particular, has long been recognized as indispensable to understanding Qur’anic interpretation. Within this intellectual framework emerged works on Maʿānī al-Qur’ān—texts that sought to integrate grammatical analysis with exegetical interpretation to resolve semantically or syntactically challenging expressions. Among the most influential of these are Mushkil Iʿrāb al-Qur’ān wa Maʿānihi by al-Farrā’ and Maʿānī al-Qur’ān wa Tafsīr Mushkil Iʿrābihi by Quṭrub.

The present study undertakes a comparative analysis of these two seminal works, examining the exegetical methodologies employed by al-Farrā’ and Quṭrub in interpreting Qur’anic meanings. It investigates their respective approaches to presenting meanings and their deployment of linguistic and grammatical evidence.

The study is framed around a central set of research questions: Do al-Farrā’ and Quṭrub rely on the same forms of linguistic and evidentiary reasoning? Do they address overlapping grammatical concerns? What are the key areas of convergence and divergence in their approaches?

Methodology:

This study adopts a descriptive-comparative methodology. Selected exegetical issues are examined and compared across the two works, highlighting

similarities and differences in interpretive approach. Each issue is presented with illustrative examples, but the analysis refrains from subjective evaluation or preference, adhering instead to a purely descriptive framework aimed at delineating points of intersection and divergence between the two texts. The findings indicate that al-Farrāʾ primarily grounds his interpretations in canonical Qur'anic readings (qirāʾāt), Arabic poetic tradition, and transmitted reports. Quṭrub, by contrast, exhibits a tendency toward a more inductive and descriptive linguistic approach, relying on the natural speech and usage of native Arab speakers, often without strict adherence to traditional authorities.

The study reveals significant methodological differences between the two grammarians, particularly in their treatment of variant readings and their respective criteria for linguistic authority. Moreover, it demonstrates that their distinct grammatical orientations yield differing semantic interpretations of certain verses.

The research ultimately underscores the interpretive richness that emerges from engaging with the diverse methodologies of early scholars, offering valuable insights into the epistemological plurality of the classical Arabic-Islamic tradition.

Keywords:

Al-Farrāʾ, Quṭrub, Maʿānī Al-Qur'ān, Arabic grammar, Qur'anic readings, Comparative exegesis.

المحتوى

الملخص 2

Abstract 3

المقدّمة 7

المبحث الأوّل: نبذة تعريفيّة بالمؤلفين 9

التعريف بالفرّاء 9

التعريف بقطرب 10

المبحث الثاني: تقسيمات معاني الفرّاء وقطرب 10

في مقدّمة الكتاب 10

في تسلسل الكتاب 11

في موضوع الكتاب 11

في طريقة العرض 12

المبحث الثالث: أدلّة معاني الفرّاء وقطرب 13

في أدلّة الاحتجاج 13

في عرض القراءات القرآنيّة 14

في الاستشهاد بالحديث النبويّ الشريف 15

في تفسير الغريب بالآثار 16

المبحث الرابع: أدلّة تفرّد بها الفرّاء 17

الأدلّة التي أخذ بها الفرّاء دون قطرب 17

المبحث الخامس: مسائل لغوية في معاني الفرّاء وقطرب 18

في المسائل اللغويّة في القرآن الكريم 18

الخاتمة 22

المصادر والمراجع 23

المقدّمة

ارتبطت نشأة علم النحو ارتباطًا وثيقًا بالقرآن الكريم، إذ اهتمّ علماء اللغة العربيّة بوضع القواعد اللغويّة لصيانة كتاب الله من التحريف والتغيير، ولضبط اللسان العربيّ من اللحن، الذي انتشر بعد توسّع رقعة الإسلام، ودخول كثير من الأعاجم في الدين الجديد. توجّه النحاة إلى دراسة القرآن الكريم الذي أنزل بلسان عربيّ مبين، متحديًّا فصحاء العرب الأقحاح على الإتيان بمثله، فكان آية في الإعجاز اللغويّ لم يدانيه في الفصاحة والبيان أحد.

وقد صُنّفت كتب كثيرة تناولت القرآن الكريم دراسة وتحليلًا وتفسيرًا، وظهرت علوم مختلفة منها الفقه وأصوله، وعلوم القرآن وتفسيره، وصنّفت أيضًا مصنّفات في اللغة والنحو، اتخذت من القرآن الكريم مصدرًا ومنبعًا لقواعد اللغة وأصلًا للاستشهاد والاحتجاج. وقد عُدَّ علم النحو من أدوات فهم تفسير القرآن، فنشأت كتب معاني القرآن التي ربطت بين النحو والتفسير، لبيان ما استشكل فهمه من ألفاظ القرآن، ومن هذه الكتب كتاب معاني القرآن **أو** مشكل إعراب القرآن ومعانيه **للفرّاء، وكتاب** معاني القرآن وتفسير مشكل إعرابه **لقطرب.**

أهمّيّة البحث: تأتي أهمّيّة هذا البحث في أنّه جمع في المقارنة بين علمين من أعلام النحو والتفسير متعاصرين في زمان واحد، ولم أقف على حد علمي على مقارنة بين منهجيهما، ولعلّ السبب في ذلك أنّ معاني القرآن لقطرب لم يكن مخطوطًا محقّقًا من قبل حتى اهتدى إليه محمّد لقريز، فحقّقه على الرغم من ضياع الجزء الأوّل منه، وذلك في أطروحته لنيل درجة الدكتوراه، عام 2015-2016، وبذلك أهدى المكتبة العربيّة كتابًا ثمينًا عزّ الوصول إليه والاستفادة منه.

أسباب اختيار البحث: وقد كان الدافع لهذا البحث الاطلاع على مناهج علماء اللغة والنحو في تفسير ما أشكل من معاني القرآن، وأسلوبهما في تسخير علم اللغة والنحو؛ للكشف عن الأوجه المختلفة في دلالة الألفاظ وفقًا لاختلاف القراءة، أو في تغيّر المعنى مع تغيّر الإعراب.

إشكاليّات البحث: وقد أردت من خلال هذا البحث الإجابة عن بعض التساؤلات، منها: هل اعتمد الفرّاء وقطرب على أدلّة احتجاج واحدة؟ هل تناول الفرّاء وقطرب قضايا لغويّة واحدة؟ ما هي نقاط الاشتراك أو الافتراق بين الفرّاء وقطرب؟

أهداف البحث: وقد هدفت هذه الدراسة إلى مقارنة كتابي الفرّاء وقطرب، والوقوف على طريقتهما في التأليف؛ والعرض؛ والموضوع؛ والأدلّة؛ والمنهج الذي اتبعوه في تناول كتاب الله عزّ وجلّ في التفسير، وبيان ما أشكل من معانيه.

الدراسات السابقة: تعدّدت الدراسات الحديثة حول المقارنة بين العلماء الذين كتبوا في معاني القرآن، لكنّني لم أستطع الوصول إلى دراسة سابقة قارنت بين الفرّاء وقطرب على حدّ علمي، بل جاء معظمها مقارنة بين الفرّاء وغيره من النحاة كالأخفش أو الزجاج أو غيرهما. وكانت معظم الدراسات التي تناولت قطرب في البحث قد اكتفت بدراسة جانب من جوانب تفسيره في كتابه هذا. وفيما يلي أسماء بعض هذه الدراسات التي اعتمدت عليها في إقامة هذا البحث، وهي:

- **أوّلًا: معاني القرآن وتفسير مشكل إعرابه: تأليف أبي محمّد بن المستنير قطرب دراسة وتحقيق، لمحمّد لقريز وهو أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في جامعة الحاج لخضر باتنة، عام 2015-2016، وهو عمل على مخطوطة كتاب قطرب، وضمّ إلى عمله هذا دراسة تضمّنت التعريف بالكتاب، وبيان منهجه، وصفًا وتحليلًا، ونقدًا وتقييمًا، وتعريفًا بمؤلّفه، وتوثيقًا لأهمّ معالم حياته وأعماله.**
- **ثانيًا: تجليات المنهج الوصفيّ في كتاب قطرب: معاني القرآن وتفسير مشكل إعرابه لأحمد محمود عبد الله أبو جرار، وهو بحث منشور في مجلّة الجامعة الإسلاميّة للبحوث الإنسانيّة، عام 2020، وهو بحث تناول فيه الجوانب الوصفيّة، ومسألة السماع، وطريقة معالجة الجانب الصوتيّ في كتاب قطرب.**
- **ثالثًا: معاني القرآن بين الأخفش والفرّاء دراسة لغويّة موازنة، لمحمّد صالح محمّد وهو أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في كليّة التربية جامعة بغداد، عام 2002، تناول فيه حياة الفرّاء والأخفش وموارد كتابيهما ومنهجهما في معانيهما، والقضايا الصوتيّة والصرفيّة والدلالة بينهما.**
- **رابعًا: معاني القرآن بين الفرّاء والزجّاج، دراسة نحويّة لزياد محمود حمد جبالي، وهو رسالة ماجستير في كليّة الآداب في جامعة النجاح الوطنيّة، عام 2001، تناول فيه حياة الفرّاء والزجّاج ومنهجهما في كتابيهما، وأثر القرآن الكريم في نحو كلّ منهما، وشواهدهما ثمّ خلافاتهما النحويّة، وغير ذلك من الأبحاث التي ذكرتها في مصادر البحث.**

المنهج: وقد اتبعت في هذا البحث المنهج الوصفي المقارن، إذ ذكرت بعض النقاط المختارة ووصفت طريقة تناولها عند كلّ واحد منهما، مع ذكر الفروق أو الاتفاق والاختلاف إن وجد، ثم أتبعت بعض المسائل أمثلة لتوضيح المراد من النقاط المطروحة، ولم أعقّب بشرح أو ترجيح إذ إن الدراسة هي وصفيّة مقارنة لمعرفة المشترك والمختلف بين الكتابين.

الخطّة المتّبعة: وقد قسّمت البحث إلى: مقدّمة ذكرت فيها العناصر التالية الافتتاحيّة؛ والأهمّيّة؛ وأسباب الاختيار؛ والإشكاليّات؛ وأهداف البحث؛ والدراسات السابقة؛ والمنهج؛ والخطّة التي قسّمت وفقها البحث، ثمّ جعلت متن البحث مقسّمًا إلى خمسة مباحث: الأوّل بعنوان نبذة تعريفيّة عن الفرّاء وقطرب؛ والثاني بعنوان تقسيمات معاني الفرّاء وقطرب؛ والثالث بعنوان أدلّة معاني الفرّاء وقطرب؛ والرابع بعنوان أدلّة تفرّد بها الفرّاء؛ والخامس بعنوان مسائل لغويّة في معاني الفرّاء وقطرب، ثمّ جاءت الخاتمة وفيها النتائج التي توصل إليها البحث.

المبحث الأوّل: نبذة تعريفيّة بالمؤلفين

التعريف بالفرّاء:

قال الذهبيّ عنه: "هو الفرَّاء أبو زكريّا يحيى بن زياد الأسديُّ العلاَّمة، صاحب التصانيف، ... الكوفيُّ، النحويُّ، صاحب الكسائيّ... ونقل أبو بُدَيْلٍ الوَضَّاحيُّ: أنَّ المأمونَ أمر الفرَّاء أنْ يؤلّف ما يُجْمعَ به أصول النَّحو، وأفرد في حُجْرة، وقرَّر له خَدَمًا وجواري، وورَّاقين، فكان يملي في ذلك سنين. قال: ولمَّا أملى كتاب (معاني القرآن)، اجتمع له الخلق، فكان من جملتهم ثمانون قاضيًا، وأملَّ (الحمد) في مائة ورقة. وكان المأمون قد وكَّل بالفرَّاء ولديه يلقِّنهما النَّحو، فأراد القيام، فابتدرا إلى نعله، فقدَّم كلُّ واحد فَرْدة، فبلغ ذلك المأمون، فقال: لن يكبر الرجل عن تواضعه لسلطانه وأبيه ومعلّمه" (الذهبيّ، 1985، 118/10-119). ولقّب بالفرّاء لأنّه كان يفري الكلام أي يحسن تقطيعه وتفصيله، توفيّ عام (207ه) (الذهبيّ، 1985، 120/10).

له مؤلفات كثيرة ومن أشهرها وأقدمها معاني القرآن، **جمع فيه بين تفسير وإعراب آيات القرآن** (أبو كتة، 1987، 37)، **كما أنّ الكتاب يحوي بطيّاته تسمية ثانية وهي** مشكل إعراب القرآن ومعانيه (الفرّاء، 1/1)، **وأهمّيّة الكتاب نوّه إليها الراجحي بأنّ التفسير فيه ليس مقصودًا لذاته، وإنّما أراد الفرّاء اتخاذ النصّ القرآنيّ نموذجًا للعربيّة يقيم عليه تحليله اللغويّ، مقدّمًا النحو الكوفيّ في أهمّ كتبه**

جميعًا (الراجحي، 1980، 93)، وهذا القصد من التأليف والثروة الضخمة في مجال الدرس النحويّ، يؤكّد أنّ النحو نشأ لفهم النصّ القرآنيّ وليس لحفظه من اللحن (الراجحي، 1980، 10).

لتعريف بقطرب:

قال عنه القفطيّ: "هو محمّد بن المستنير أبو عليّ المعروف بقطرب النحويّ اللغويّ، أحد العلماء بالنحو واللغة، أخذ عن سيبويه وعن جماعة من العلماء البصريّين. ويقال: إن سيبويه لقّبه قطرب لمباكرته له في الأسحار، قال له يومًا: ما أنت إلا قطرب ليل. والقطرب: دويبّة تدبّ ولا تفتر. نزل قطرب بغداد، وسمع منه بها أشياء من تصانيفه، وكان موثّقًا فيما يمليه، مات في سنة ست ومائتين" (القفطيّ، 1982، 219/3).

له مؤلّفات عديدة في اللغة منها المثلثات في اللغة **التي يعدّ قطرب أوّل من وضعها في اللغة العربيّة، وكتاب** في معاني القرآن الكريم، **له أسماء متعدّدة منها** إعراب القرآن، ومجاز القرآن، ومشكل القرآن، ومعاني القرآن، **وهو أشهر وأصحّ هذه الأسماء، ذكر لقريز هذا الاسم بالتفصيل هو** معاني القرآن وتفسير مشكل إعرابه، **وساق أدلّة ثمانية لاختياره هذه التسمية، وقد أشار إلى تضمّن الكتاب لثلاثة أقسام وهي: توجيه القراءات؛ علم معاني القرآن؛ علم مشكل إعراب القرآن (لقريز، 2015-2016، 92-90).**

المبحث الثاني: تقسيمات معاني الفرّاء وقطرب

سيعقد هذا المبحث مقارنة بين كتاب الفرّاء وكتاب قطرب من حيث التقسيمات التي اتبعها كلّ واحد منهما في كتابه.

في مقدّمة الكتاب:

إنّ أوّل ما تستهلّ به هذه الدراسة بالمقارنة هو مقدّمة كتاب كلٍّ من الفرّاء وقطرب، إذ إنّ المؤلفَين غالبًا ما يفتتحون مؤلفاتهم بمقدمة يشرحون فيها منهجهم وطريقتهم في التصنيف والتبويب.

- **كتاب الفرّاء: استُهلّ بـ "البسملة استعانة في البدء والختم، ثمّ الصلاة والسلام على رسول الله" في السطر الأوّل، وانتقل الراوي بعدها إلى سنده في الرواية ذاكرًا أنّ الفرّاء أملى على جلسائه كتابَه** معاني القرآن **عن حفظه من غير نسخة، وذكر اسم الكتاب بأنه** تفسير مشكل إعراب القرآن ومعانيه، **ثمّ ذكر تفسير أمّ الكتاب.**

- **كتاب قطرب: ذكر لقريز أن الجزء الأوّل لكتاب قطرب مفقود، لذلك لم يستطع الاطلاع عليه لمعرفة ما إن كان قطرب قد ضمّن مقدّمة كتابِه منهجَه وطريقتَه في التصنيف، غير أنّه يرجح أن يكون قطرب قد أهملها كما فعل في كتبه الأخرى، مكتفيًا بما يفيده اسم الكتاب، كما فعل الفرّاء في كتاب** معاني القرآن **(لقريز،98).**

في تسلسل الكتاب:

اتّبع كل من الفرّاء وقطرب التسلسل القرآني في ترتيب كتابيهما تنازليًّا بدءًا من فاتحة الكتاب إلى آخر سورة منه، لكنّ الفرّاء لم يفسّر كلّ آية من القرآن، وإنما التزم هدفه من كتابه بتفسير المشكل حسب ترتيبها في المصحف، وقد لا يلتزم به أحيانًا. ابتدأ الفرّاء كتابه بأمّ الكتاب ذاكرًا مسألة حذف الألف في البسملة، والآراء النحويّة والتعليل لذلك الحذف مع الأدلّة، ثمّ انتقل إلى القراءات التي وردت للفظ "الحمد" ثم لفظ "عليهم"، موردًا المذاهب في تعليل القراءة، مستندًا إلى الاستشهاد أوّلًا بالقرآن الكريم، وقد اعتمد تفسير الآيات التي يرى أنّ هناك حاجة لتفسيرها، جامعًا بين التفسير اللغويّ والنحويّ في تفسير المعاني، ويتناول الفكرة التي يطرحها، ويناقشها بمنهجيّة ترقى بالأدلّة (جبالي، 2001، 32-29).

أمّا قطرب فقد قسّم كتابه إلى ثلاثة أقسام، وهي: القراءات وتوجيهها؛ الغريب واللغات؛ ومشكل الإعراب. ثمّ قسّم كل سورة فصولًا وفق هذه التقسيمات الثلاثة، ففي الفصل الأوّل ذكر القراءات تحت عنوان فرعيّ قائلًا: "قراءات سورة كذا"، ثمّ يورد القراءات واحدةً تلو الأخرى مع نسبتها إلى أصحابها، وشرح ما خفي معناه لغةً وإعرابًا واشتقاقًا وتفسيرًا، أو يذكرها في الفصل الذي تناسبه من الفصول الثلاثة في كلّ سورة. وفي الفصل الثاني ذكر اللغات والغريب، إذ يعنون بعد الفصل الأوّل قوله: "لغات سورة كذا وغريبها"، وفيه يفسّر معنى الكلمة القرآنيّة ويعدّد اشتقاقاتها، ويميّز اللهجات العربيّة، ويستدلّ بسماعه من أقوال الفصحاء أو ينقل مذاهب العلماء من سماعه أو من روايته. أمّا في الفصل الثالث فقد ذكر مشكل الإعراب، ويجعله بعنوان "مشكل إعراب سورة كذا" ثم يورد ما أشكل من الإعراب وصعب، مع إعراب بعض القراءات (لقريز، 99-98).

في موضوع الكتاب:

أُطلِق قديمًا مصطلح معاني القرآن **على الكتب التي تُعنى بالتفسير اللغويّ للقرآن الكريم، ويعدّ علم المعاني -أي التأليف في معاني القرآن- هو "البيان اللغويّ لألفاظ وأساليب العربيّة الواردة في القرآن"**

(الطيّار، 1423ه، 76)، كما يدخل في هذا العلم "علم غريب القرآن، وعلم مشكل القرآن، وعلم أساليب العربيّة التي جاءت في القرآن" (الطيّار، 1423ه، 79).

إنّ الفرّاء قد دمج بين علم معاني القرآن وعلم إعراب القرآن في مؤلّف واحد، إلّا أنّ مباحث علم الإعراب والنحو طغت على العلم الآخر في كتابه، حتى أصبحت مواضع كثيرة في الكتاب تطبيقاتٍ للنحو الكوفي، وبسط الخلافات النحويّة بين مدارس النحو أكثر منها في بيان وتفسير القرآن (الطيّار، 1423ه، 77). أمّا قطرب فقد جعل كتابه في بيان معاني الآيات لغويًّا، وضمّنه المنحى اللغويّ للتفسير في بيان غريب الألفاظ أو تقدير المحذوف والمضمر، أو تخريج مشكل الخطاب القرآنيّ، أو تحليل تركيب الجملة في بيان المعنى، ومباحث لغويّة أخرى (لقريز، 94-93)، لذلك جاء تقسيمه السور إلى فصول لترتيب هذه العلوم في نسق مطّرد واحد.

في طريقة العرض:

غالبًا ما سار علماء اللغة في طريقة عرضهم للمادّة العلميّة في كتبهم وفق مسار واحد، خطّوه لأنفسهم، لا يخرجون عنه في تأليفهم إلّا فيما ندر، ليكون مؤلَّفُهم ذا منهج واحد دقيق في عرض محتواه. وقد عرض الفرّاء في كتابه بداية الصورة الكليّة ثمّ يفصّل ويوجّه ويستشهد لما ذكر، كما في تفسير قوله تعالى: "الحمد لله"، إذ يقول الفرّاء: "اجتمع القرّاء على رفع الحمد"، أما أهل البدو فمنهم.. ومنهم... ومنهم... ثم ينتقل توجيه كلّ لغة مستشهدًا لها من آيات الكتاب، أو من شعر العرب، أو من المأثور والمنثور، وقد ينهي كلامه بلطيفة بلاغيّة، أو تعليق على كلمة ما. وبعدها ينتقل إلى إعراب كلمة ذاكرًا أوجه الإعراب فيها، أو قد يذكر ما قاله بعض النحاة فيها، ويكشف الصواب فيها، وإن كان ردّه على بعض الآراء قاسيًا أحيانًا، كما فعل في نعت أبي عبيدة بأنه لا يعرف العربيّة عند تفسيره معنى "غير" بـ "سوى" في "الحمد"، وختم كلامه بمثل ليؤيّد مذهبه المخالف لأبي عبيدة (جبالي، 2001، 34). وقد يذكر الفرّاء خلال العرض أوجهًا إعرابيّة مقروعة أو ممكنة مستشهدًا لها بأوجه القراءات، وإن كان الشاهد من غير القراءات العشر. وإذا تضمّن العرض حكمًا نحويًّا بيّن أحكام المسائل المماثلة، ويورد لها أمثلة مشابهة من القرآن، أو من الشعر، كما أنّه يبسط آراء أستاذه الكسائيّ بإعجاب عند عرض نظريّاته النحويّة، مثال قوله في قراءة {إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ} (الطور:28): "الكسائي يفتح أنّه وأنا أكسر، وإنّما قلت حسنٌ لأن الكسائيّ قرأه" (الفرّاء، 93/3).

أمّا قطرب فقد وزّع القراءات والمعاني اللغويّة والمسائل النحويّة والصرفيّة في كتابه وفق ترتيبها وتوزّعها في سور وآيات القرآن الكريم، ولم يجعلها مبوّبة على أبواب اللغة من نحو وصرف، لكنّه خالف طريقته هذه في مظهرين:

الأوّل: جعل بعض المسائل مفردة في أبواب، وفصّل فيها القول في بعض القضايا اللغويّة رغم تناثر شواهدها في سور القرآن، منها: الوقف وكيفياته؛ الابتداء؛ أحكام الهمز؛ أحكام الإمالة وغيرها.

الثاني: جمع الآيات المشتركة في الحكم نفسه في مكان واحد، دون أن يفرد لها بابًا خاصّا رغم كثرتها في بعض الأحيان، ومثاله أن يذكر قراءة كلمة في سورة، ونظائرها في سور أخرى (القريز،101-99).

المبحث الثالث: أدلّة معاني الفرّاء وقطرب

سيتناول هذا المبحث أدلّة الاحتجاج عند كلّ من الفراء وقطرب في كتابيهما، سواء منها السماعيّة أو غير السماعيّة.

في أدلّة الاحتجاج:

عدّ العرب السماعَ طريقةً منهجيّة لنقل اللغة ودراستها، ووضعوا له شروط وضوابط للأخذ به والحكم على صحة المنقول من عدمها، وقد أشار ابن فارس إلى أنّ اللغة تؤخذ "سماعًا من الرواة الثقات، ذوي الصدق والأمانة، ويُتّقى المظنون" (ابن فارس، 1997، 34). والسماع هو من أدلّة علماء اللغة في بناء القواعد اللغويّة، وقد جعل أغلب العلماء أوّل أدلّة الاحتجاج عندهم هو السماع ويشتمل على أشياء كثيرة أوّلها وأهمّها القرآن الكريم؛ ثم القراءات؛ والحديث النبوي الشريف؛ وكلام العرب من شعر ونثر؛ وكذا أقوال فصحاء العرب؛ وأقوال الصحابة والتابعين؛ والأمثال والحكم.

جعل الفرّاء السماع أوّل الأدلّة للاحتجاج والاستشهاد به في كتابه، فهو يفسّر القرآن بالقرآن ثم الشعر ثم الأقوال، وفي ذلك يقول الفرّاء: "والكتاب أعرب وأقوى في الحجة من الشعر" (الفرّاء، 14/1)، وقد قدّم للشاهد القرآنيّ بقوله: قوله؛ وقال؛ قال الله؛ ومثله من كتاب الله؛ فأنزل الله؛ فأمّا قول الله تبارك وتعالى. وقد أكثر الفرّاء من الشواهد القرآنيّة، ولعل هذا ما جعل كتابه يقع في ثلاثة أجزاء (الخفاجي، 2002، 68-65).

أمّا السماع عند قطرب فقد جاء "على قسمين: قسم رواه عن شيوخه أو شيوخ شيوخه من أئمة اللغة في التفسير؛ أو توجيه بعض القراءات وتعليله؛ أو في مسائل نحويّة وصرفيّة، وقسم آخر أخذه سماعًا من فصحاء العرب" (لقريز، 102)، وفسّر قطرب الغريب بالقرآن الكريم والحديث -لكنّه قليل الورود في كتابه- والآثار الواردة عن الصحابة والتابعين وما ورد عن فصحاء العرب في الشعر أو فيما سمعه من فصحاء الأعراب وما رواه عن شيوخه (لقريز، 138-136).

في عرض القراءات القرآنيّة:

عرّف الزرقانيّ القراءة القرآنيّة بقوله: "مذهب يذهب إليه إمام من الأئمة القراء مخالفًا به غيره في النطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الروايات والطرق عنه سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئاتها" (الزُّرْقاني، 412/1).

استشهد الفرّاء بكافّة القراءات -ولم تكن قد قُسّمت بعد- وقد أولى القراءات القرآنيّة أهمّيّة كبيرة في الاستشهاد، وكان يورد القراءة منسوبة إلى قارئ معيّن، كما في قوله: "وهي في قراءة عبد الله"، أو قد ينسبها إلى قوم، كقوله: وقرأ قوم، أو وقد قرأها قوم، أو يذكر القراءة منسوبة إلى بعض العرب، كقوله: وبعض العرب يقول، أو ينسب القراءة بلفظ: ومن العرب من يقول، أو يعزو القراءة إلى بعض القرّاء، بقوله: وقد قرأ بها بعض القرّاء، أو منهم من يقرأ، أو ينسب إلى القرّاء عامّة بقوله: وقد قرأ القرّاء، أو وقرأ أهل المدينة، أو وقرأها أهل الحجاز، أو قرأها أهل الكوفة، أو ينسب القراءة إلى نفسه بقوله: وفي قراءتنا، وفي الأخيرة إشارة إلى أنّ الفرّاء كانت له قراءة أغفلها ابن مجاهد عند تصنيفه القراءات إلى سبعة وإلى عشرة (الخفاجي، 2002، 79-70). وقد يردّ الفرّاء القراءة دون تبيان السبب، مثاله ردّ قراءة ابن عباس وابن مسعود في قوله: { وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا} (النمل:14)، فقال: "قال الفرّاء، والفتح أحبّ إليّ، وقال بعضهم قرأ الكسائيّ بالرفع، فقال: أخالفه أشدّ الخلاف" (الفرّاء، 132/2)؛ أو يردّ القراءة بسبب شذوذها؛ أو بسبب وهن وقع في إحدى طبقات القراءة؛ أو لمخالفتها النحو والقياس اللغويّ؛ أو بسبب عدم موافقتها لرسم المصحف؛ أو لكونها مخالفة للتفسير أو إجماع القرّاء (المنيع، 23-22).

أمّا قطرب فقد عرض القراءات في مواضع كثيرة، وهي:

- عنون أوّل فصل يورده من كلّ سورة بقراءة سورة كذا، وذكر في الغالب من القراءات ما له تعلّق بالمعنى وتأثير عليه، أمّا إذا تعدّدت القراءات فإمّا أن يذكر تعليلها مع كلّ قراءة، أو

يؤخّرها إلى آخر قراءة في الآية، وقد يسوق القراءات كلّها، متواترها وشاذّها مساقًا واحدًا، وقد يؤخر غالبًا القراءة التي خالفت خط المصحف مع التنبيه على المخالفة، واعتنى بنسبة القراءات لأصحابها، وروى القراءات معلّقة عن أصحابها دون إسناد، أو يرفع القراءة إلى النبي صلّى الله عليه وسلم، ممّا قد يكون متواترًا أو شاذًّا، وقد يتردّد في نسبة القراءة لقارئ أو يبهم أصحابها، وقد يعزو إلى بعض القرّاء، ينوّه على القراءة في أوّل موضع تذكر فيه إن كانت ممّا تكرّر وروده، وقد يستطرد بذكر كثير من القراءات في المسائل التي فيها خلاف، وينبّه على مواضع الاتفاق بين القرّاء، ويعزو القراءة إلى القارئين إجمالًا وتفصيلًا، ويبدأ غالبًا بقراءة أهل البصرة، وتكلّم عن أصول القراءات ذاكرًا مذاهب القرّاء في القراءات، وأحيانًا يفترض وجوهًا ممكنة من القراءة التي لم ترَو، ويورد كثيرًا ما في مصاحف بعض الصحابة دون الاعتداد بها رغم موافقتها اللغة وذلك بسبب مخالفتها المصحف (لقريز، 119-124).

في الاستشهاد بالحديث النبويّ الشريف:

إنّ الحديث النبويّ الشريف هو أحد أدلّة الاحتجاج اللغويّ عند أغلب علماء التفسير والفقه والنحو وغيرها من العلوم التي ظهرت خدمة لدراسة النصّ القرآنيّ، والحديث في الاصطلاح هو: "الإخبار ثم سميَّ به قول أو فعل أو تقرير نُسب إلى النبي عليه الصلاة والسلام" (الكفويّ، 370).

عدّ الفرّاء الحديث النبويّ الشريف أصلًا مهمًّا من أصول اللغة والنحو وأكثر من الاستشهاد به بخلاف مسلك علماء اللغة الأوَلين الذين انقسموا أقسامًا ثلاثة:

الأوّل: من منع الاستشهاد بالحديث الشريف، بحجة أنّ الحديث قد يُروى بالمعنى أوّلًا، فلا يكون اللفظ فيه للنبي صلّى الله عليه وسلم؛ ثانيًا وقوع اللحن بشكل كبير فيما رُوي من الحديث، وعلى رأسهم أبو حيّان النحويّ (الخفاجي، 80-79).

الثاني: من توسّط بين المنع والجواز وهم الذين ميّزوا بين ما نقل بلفظه كالأحاديث القصيرة وهي الحجّة، وبين الأحاديث الطويلة التي يعسر حفظها بنصّها، وتُروى بالمعنى وهي ليست حجّة، ومن أبرز من سار على هذا النهج الإمام أبو حسن الشاطبيّ.

الثالث: من أجاز الاستشهاد بالحديث عمومًا كالفرّاء (عيد، 1988، 110-109).

كان الفرّاء يقدّم للشاهد من الحديث بعبارات متعدّدة، منها مثلًا وبلغنا أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلم كما في تفسير قوله تعالى: {وَأَنْزَلْنا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوى} قال: "بلغنا أنّ المنّ هذا الذي يسقط على الثّمام والعشر، وهو حلو كالعسل، وكان بعض المفسّرين يسمّيه التَّرنْجبين الذي نعرف. وبلغنا أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلم قال: "الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين" (الفرّاء، 38-37/1)؛ أو قوله:

"نقلنا في الحديث أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلم قال.." (الفرّاء، 256/1)، أو قوله: "جاء في الحديث.." (الفرّاء، 280/1)؛ أو قوله: "كان النبي صلّى الله عليه وسلم.." (الفرّاء، 39/3).

أمّا قطرب فقد استعان قليلًا بالحديث في تفسير الغريب، ولم يستعمله إلّا في بعض المواضع، مثاله قوله في تفسير آية من سورة البقرة: "وقوله { حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ} (البقرة: 187) وحُكي عن النبي صلّى الله عليه وسلم أنّه قال: <الليل من النهار>؛ والخيط عند العرب يقولون: هذا خيط الصبح؛ إذا تبين الصبح" (لقريز، 348).

في تفسير الغريب بالآثار:

تتعدّد الآثار التي استشهد بها أغلب النحاة القدامى، فهي ما بين أقوال الصحابة والتابعين؛ وكلام العرب من شعر ونثر؛ وأقوال فصحاء العرب؛ والأمثال والحكم.

- **<u>الاستشهاد بأقوال الصحابة والتابعين</u>:**

تعدّ أقوال الصحابة والتابعين من موارد معاني الفرّاء الكثيرة التي استخدمها للاستدلال على القواعد اللغويّة والنحويّة، ومن أمثلة ذلك قول الفرّاء في تفسير قوله تعالى: {وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ} (ق:40) ".. جاء ذلك عن عليّ بن أبي طالب أنّه قال {وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ}: الركعتان بعد المغرب {وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ} (الطور:49) الركعتان قبل الفجر" (الفرّاء، 80/3).

أمّا قطرب فقد كان الاستناد إلى تفاسير الصحابة والتابعين بارزًا في كتابه، مخالفًا غيره ممن ألّف في معاني القرآن، حتى إنّه قد فاقهم بذلك، وأكثر اعتماده كان على تفسير ابن عباس رضي الله عنه إذ بلغت استشهادات الفرّاء به في 462 موضعًا، ثمّ الحسن البصريّ، وغيرهم لكن أغلب الروايات رواها الفرّاء مرسلة دون إسنادٍ (لقريز، 137).

- **<u>الاستشهاد بكلام العرب</u>:**

كلام العرب قسمان: شعر ونثر، وقد استشهد به أهل اللغة بقسميه في الشواهد اللغويّة والنحويّة، وحدّوا هذا الاستشهاد بزمن معيّن، إذ قال العلماء إنّ أصحاب الفترة فيما قبل منتصف القرن الثاني هو حجّة في العربيّة، دون تفريق بين أهل البدو والحضر، أما ما كان بعد المنتصف الثاني الهجري إلى أواخر القرن الرابع فالعلماء بين تصويب وتخطئة، فالبادية صواب والحضر خطأ (عيد، 125).

1- الشعر: اهتمّ الفرّاء بالشعر اهتمامًا كبيرًا بعد القرآن والحديث، وانطلق من الظاهرة اللغويّة في الآية إلى شرح مدلولها ووضع القاعدة مدعّمة بالشواهد الشعريّة والنثريّة (جبالي، 69)،

وقد استخدم ألفاظًا كثيرة لإيراد الشاهد، منها: "قال الشاعر؛ أنشدني فلان؛ قول الشاعر؛ وفي الشعر.. وغيرها من العبارات، ومثال ذلك "في تفسير قوله تعالى: {وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍۖ} (ق:45).. جعل الجبّار في موضع السلطان من الجبريّة، قال أنشدني المفضّل:

ويوم الحَزن إذ حشدَت معدُّ وكان النــاس إلّا نحـن ديـنــا

عصينا عزمة الجبار حتى صبحنا الجوفَ ألفا مُعْلمينا

أراد بالجبّار: المنذر لولايته (الفرّاء، 81/3).

أمّا قطرب فقد كان استشهاده بالشعر كثير جدًا، مع المبالغة في بعض الأحيان، مثال ذلك أنّه استشهد باثني عشر شاهدًا على وصف المذكر بالمؤنث وعكسه (لقريز، 137).

2- النثر: وهو ما استشهد به المفسرون من أقوال علماء العرب في توثيق القواعد اللغويّة والنحويّة، ومنهم الفرّاء وقطرب، وقد أوردا هذه الأقوال منسوبة بعبارات متعدّدة، منها عند الفرّاء: "كما تقول العرب؛ والعرب تقول؛ ومثل قول العرب؛ كما يقولونه أو كما يقولون وغيرها، وقد يورد الشواهد مسبوقة بسلسلة الرواية، مثاله في بيان معنى قوله تعالى: {عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ} (النجم: 15) قال: ...حدّثنا محمّد بن الجهم، قال حدّثنا الفرّاء، قال: وحدّثني بعض المشيخة عن العَرْزَميّ عن ابن أبي مليكة عن عائشة أنها قالت جنّة من الجنان" (الفرّاء، 97/3). وقد استخدم قطرب عبارات مشابهة لعبارات الفرّاء، نحو: "والعرب تقول؛ وسمعنا العرب؛ وسمعنا بعض الفصحاء، أو قد ينقل بواسطة شيوخه وبالأخصّ يونس بن حبيب، ومنه: في تفسير الآية: "{فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ} (البقرة: 206) فإن يونس زعم: أنّ جهنّم اسم أعجميّ، ولم يعرِف أكثر من ذلك.." (لقريز، 353). واللافت أنّ قطرب توسّع في النقل عن القبائل العربيّة، إذ يقول مثلًا: "وحكي عن طيء أنهم يقولون؛ وقالت امرأة من فقعس؛ وقال بعض أهل الحجاز؛ وقال أعرابيّ من أهل العالية ؛ وهي لغة نجد.. وغيرها" (لقريز، 206، 215، 222، 215، 265).

المبحث الرابع: أدلّة تفرّد بها الفرّاء

تفرّد الفرّاء بالاستدلال بأدلّة لم يحتج بها قطرب في معانيه.

الأدلّة التي أخذ بها الفرّاء دون قطرب:

1- <u>الاستشهاد بالأمثال والحكم</u>: وهي من الموروثات اللغويّة الهامّة وقد استعملها الفرّاء في كتابه للتفسير بكثرة، مثال ذلك في تفسير قوله تعالى: {الْحَافِرَةِ} (النازعات:10)، إذ قال: "يقال: إلى أمرنا الأوّل إلى الحياة، والعرب تقول: أتيت فلانًا ثم رجعت على حافرتي، أي رجعت إلى حيث جئت. ومن ذلك قول العرب: النقد عند الحافرة. معناه: إذا قال: قد بعتُك رجعتُ عليه بالثمن، وهما في المعنى واحد" (الفرّاء، 232/3). (الخفاجي، 96)

2- <u>الإجماع</u>: وهو "إجماع نحاة البلدين: البصرة والكوفة" (السيوطي، 1989، 159)، وقد قال ابن جنّي في الخصائص في باب القول على إجماع أهل العربيّة متى يكون حجّة: "اعلم أن إجماع أهل البلدين إنما يكون حجّة إذا أعطاك خصمك يده ألّا يخالف المنصوص. والمقيس على النصوص فأمّا إن لم يعط يده بذلك فلا يكون إجماعهم حجّة عليه. وذلك أنه لم يرد ممّن يطاع أمره في قرآن ولا سنة أنهم لا يجتمعون على الخطأ كما جاء النصّ عن رسول الله صلّى الله عليه وسلم من قوله: "أمتي لا تجتمع على ضلالة" وإنما هو علم منتزع من استقراء هذه اللغة" (ابن جنّيّ، 190/1). وقد كان للفرّاء مواقفَ متعدّدة من الإجماع وذلك بأن: يذكر الإجماع وبعض الآراء بما فيهم رأيه خاصّة في القراءات القرآنيّة؛ أو يذكر الإجماع ويردّه؛ أو يذكره من غير تصريح بالأخذ به؛ أو أن يورد الإجماع ويناقش الآراء الأخرى (الخفاجي، 102-103).

3- <u>القياس</u>: وهو "حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه" (السيوطي، 175)، وهو أحد الأدلّة العقليّة الهامّة غير السماعيّة الذي استخدم في كثير من العلوم منها الفقه؛ واللغة؛ والنحو. وامتاز الفرّاء "بحسّه اللغويّ المتميّز، وعقله الراجح، ونظره الثاقب"، فلا غرابة في استخدامه القياس دليلًا في كتابه، لكنّه قد يتشدّد بالقياس في بعض الأحيان، أو قد يقيس على النادر في أحيانٍ أخرى (الخفاجي، 98)، مثال ذلك في تفسير قوله تعالى: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} (البقرة: 286)، قال الفرّاء: "الوسْع اسم في مثل معنى الوجد والجهد. ومن قال في مثل الوجد: الوجد، وفي مثل الجهد: الجهد قال في مثله من الكلام: «لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَها». ولو قيل: وسعها لكان جائزًا، ولم نسمعه" (الفرّاء، 188/1)، وهذا يدلّ على "أنّ الفرّاء يقيس المعنى على المعنى واللفظ على اللفظ، ومن ثمّ يأتي بألفاظ لم يسمعها، كما أنّه يشذّذ ما يخالف القياس" (الخفاجي، 99).

المبحث الخامس: مسائل لغويّة في معاني الفرّاء وقطرب

تعدّدت المسائل اللغويّة التي أوردها كل من الفرّاء وقطرب، وتنوّعت في مظاهرها، وأشكالها، وتعلّقاتها، وأثرها في قواعد نحويّة مختلفة.

في المسائل اللغويّة في القرآن الكريم:

إنّ القرآن الكريم كان له الأثر الكبير في قواعد ونحو الفرّاء وقطرب، فهو من المصادر الرئيسة في كتابيهما، وذلك في بناء القواعد النحويّة والاستدلال بها. فالفرّاء استدلّ بالآيات على قواعد نحويّة اقترحها بما يؤيدها من الآيات (جبالي، 76)، مثال ذلك: إجازته للحال أن تكون معرّفة بأل التعريف، كما في تفسير قوله تعالى: {لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ} (المنافقون:8)، "كأنّك قلت: ليخرجنّ العزيز منها ذليلًا" (الفرّاء، 160/3)؛ أو آيات كان له رأي فيما أشكل فيها مع ذكر آراء غيره، مثال ذلك في تفسير قوله تعالى: {أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ} (إبراهيم:18): "أجاز الفرّاء الجرّ على الجوار، وذكر أنّ النحاة الأوائل يجيزون ذلك... ويذكر أنّ... من قول العرب: هذا حجرُ ضبٍ خربٍ" (الفرّاء، 75-72/2).(جبالي، 77)

لقد سجّل الفرّاء في كتابه جلّ آرائه وقواعده النحويّة واللغويّة، إذ إنّ المادّة القرآنيّة عنده المؤلّفة من آيات القرآن والقراءات المشهورة وغير المشهورة هي وحدة منسجمة مع بعضها البعض، وهي جميعها تقترن بالشعر أو لغات العرب في بناء القاعدة النحويّة وتوضّحها. فالقرآن هو وسيلة للاستشهاد على صحّة القواعد أو أدلّة لإبداء رأيه أو إثباته، فالكتاب ألّف لإعراب القرآن وتفسير المشكل من آياته، لذلك بسط فيه آراءه النحويّة، أو في أوجه إعراب انفرد فيها، أو موافقاته ومخالفات آراء آخرين، فالآية هي مجال خصب للحديث في تركيبها ومواقع ألفاظها (جبالي، 78).

إنّ تأثير الآيات القرآنيّة في القواعد النحويّة عند الفرّاء له أربعة مظاهر، وهي:

- **قواعد نحويّة مختلفة بنيت على آيات قرآنيّة، أو أنّ قراءات أثّرت في ظهور هذه القواعد، مثال ذلك: إجازة الفرّاء نصب الفعل المضارع بأن مضمرة بعد فاء السببيّة بعد فعل التمنّي، كما في قراءة من قرأ قوله تعالى: {وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُوا عَلَيْكُم} (النساء:102)، ويقول: "ردّه على تأويل: ودّوا أن تفعلوا" (الفرّاء، 175/1)، وغيرها (جبالي، 96-92).**
- **قواعد نحويّة أيّدتها وأثبتتها آيات وقراءات قرآنيّة، إذ استدل الفرّاء بالقرآن والشواهد الشعريّة والنثريّة على صحّة هذه القواعد، مثال ذلك: حذف المبتدأ لدلالة المقام عليه... في قوله تعالى: {وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا} (البقرة:135) قال الفرّاء: "فمن رفع أراد هي ملّة إبراهيم" (الفرّاء، 83/1)، وغيرها كثير (جبالي، 104-100).**

- **قواعد نحويّة رُدّت بآيات وقراءات قرآنيّة وضعها غيره ممن سبقه من العلماء، فاعتمد الفرّاء الآيات القرآنيّة في نقض ما ذهب إليه غيره ممّا لم يوافق عليه، فوجد في الآية دليلًا لتخطئة غيره (جبالي، 109)، ومثال ذلك: قول الفرّاء أنّ (لو) تأتي شرطيّة أو حرف مصدر مثل أن المصدريّة، فتؤول وما بعدها بمصدر يعرب حسب العوامل، وغالبًا ما يقع ذلك بعد التمنّي، وشاهده قوله تعالى: {وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا} (آل عمران:30)، قلت: نعم ذلك جائز في وددت لأن العرب تلقاها مرة بـ(أن) ومرة بـ(لو) فيقولون: لوددت لو ذهبت عنا، ووددت أن تذهب عنا، فلما صلحت بلو وبأن ومعناهما جميعًا الاستقبال، استجازوا أن يردوا فعل بتأويل لو، على يفعل مع أن" (الفرّاء، 175/1) وغيرها من القواعد (جبالي، 112-109).**
- **وجوه إعرابيّة في آية واحدة ترتّبت عن آيات وقراءات قرآنيّة، فكانت الآيات هي سبب اختلاف النحاة في إعرابها (جبالي، 116)، مثال ذلك ما قاله الفرّاء في إعراب (مثل) في قوله تعالى: {إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ} (الذاريات:23)، قال الفرّاء: "فمن رفعها جعلها نعتًا للحقّ ومن نصبها جعلها في مذهب المصدر كقولك: إنه لحقّ حقًّا" (الفرّاء، 85/3)، وغيرها من الوجوه (جبالي، 119-116).**

لقد نوّع قطرب طرقه في بيان الغريب على أشكال عدّة منها:

- **ذكر المرادف اللغويّ للفظ الغريب: مثاله "قوله تعالى: {وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ} (البقرة:30)، فالسفك: الصبّ، يقال: سفك الإناء، وانسفك هو؛ إذا انصبّ.." (لقريز، 297).**
- **ذكر المعنى الكليّ للكلمة الغريبة: فقد اعتنى قطرب بالمعاني الكليّة للمادّة اللغويّة، وحاول إرجاع تصاريف الكلمة لأصل كليّ يتفرّع عنه بقيّة المعاني، المسمّى بالاشتقاق الأكبر كما فعل ابن فارس في مقاييسه (لقريز، 139)، مثاله قوله تعالى: {وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا} (البقرة:61)... الفوم: كلّ عقدة من بصلة وثومة، والقطعة من اللحم، واللقمة العظيمة.." (لقريز، 311).**
- **ذكر أصل اللفظ وتصريفاته: ومن ذلك قوله في "قوله عزّ وجلّ {وَالْمَلَائِكَةُ} (البقرة:210)، قال قطرب: "والواحد: ملك غير مهموز، وأصله ملاك، رمى بالهمزة... وألقى الحركة**

على ما قبلها... وإنّما هي الرسالة؛ وقالوا فيها: هي المالَكة، والمالُكة؛ فقدّموا الهمزة، وقالوا: هي الملأَكة والملأَكُ.." (لقريز، 299-298).

- بيان اشتقاقات الكلمة ومصادرها: كثيرًا ما يترك قطرب الكلمة دون تفسير مكتفيًا بالمصادر والاشتقاقات التي يذكرها، مثال ذلك: "قوله: {وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} (البقرة:15) فالفعل: طغا، يطغا، ويطغوا وطغوت، وطغيت..." (لقريز، 286).
- بيان اللغات واللهجات العربيّة: يذكر قطرب كثيرًا اختلاف لهجات العرب في المفردات، فينسبها مرّة أو يبهمها أخرى، واللغة تدخل فيها اللهجات والاشتقاق وغيره من علم الصرف.
- الاستطراد إلى المعاني المعجميّة للمادّة اللغويّة: وهو يذكر معان لا علاقة لها بالآية، وهو عمل أصحاب المعاجم، إذ يذكرون المادّة اللغويّة ثمّ يلحقونها بالمعنى المستعمل عند العرب (لقريز، 142-141)، مثاله في تفسير قوله تعالى: {وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (البقرة:5)، "فإنّهم يقولون: الفلاح والفلح: البقاء، والفلح: السحور أيضًا" (لقريز، 282).

وعالج قطرب أيضًا في كتابه إعرابَ القرآن، إلّا أنّه لم يستغرق إعرابه كاملًا، واكتفى بما أشكل منه، والدليل على ذلك هو عنوان الكتاب ".. وتفسير مشكل إعرابه"، وأوجه ما أشكل متعدّدة في كتابه، منها:

- ما أشكل من جهة القواعد النحويّة والإعرابيّة: وهو ما جاء من الآيات مخالفًا في ظاهره للقاعدة النحويّة المعمول بها عند أكثر النحاة، فيتناول قطرب الإشكال ويجيب عنه (لقريز، 142)، مثال ذلك: قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ} (المائدة:69)، "فرفع (الصابئون) ولم يردّه على (إنّ)؛ فوجه الإشكال عند قطرب هنا هو تغاير إعراب المعطوف والمعطوف عليه، ثمّ بيّن وجه ذلك فقال: "فيكون ذلك على وجهين:

أحدهما: أن يرفعه بـ(هادوا)؛ كأنّه قال: (وهاد الصابئون) أيضًا؛ كقولك: إنّ الذين أتَوني زيد ظراف؛ تريد وأتاني زيدٌ؛...

والوجه الآخر: أن يكون ردّ (الصابئين) على موضع {إنّ الذين آمنوا}؛ لأنّ الموضع ابتداء؛ كأنّه لما قال: إنّ الذين آمنوا قال: الذين آمنوا؛ لأنّ المعنى قريب بعضه من بعض؛

وليست (إنّ) بفعل فيقوى عملها؛ فكأنّه قال: الذين آمنوا والصابئون، قال بشر:

وإلّا فاعلموا أنّا وأنتم بغاة ما بقينا في شقاق

فقال: وأنتم ولم يقل: وإياكم. وعلى هذا: إنّ زيدًا وعمروٌ منطلقان؛ كأنّه قال زيد وعمروٌ منطلقان" (لقريز، 506).

- **تبيان الأوجه الإعرابيّة المحتملة: كثيرًا ما يبيّن قطرب الأوجه الإعرابيّة الجائزة في الآية، أو قد يقلّ منها أحيانًا، أو يوضّح قوّة أو ضعف وجه من الوجوه لغةً أو تفسيرًا (لقريز، 144)، ومثال ذلك في قوله تعالى: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا} (التوبة:55)، فتكون الآية على أوجه ثلاثة:**

الأوّل: إنّما يريد الله كي يعذبهم.

الثاني: أن يعذبهم؛ أي يريد عذابهم، وتكون اللام توكيدًا.

الثالث: أي إرادته لهذا؛ أي كان الأمر لهذا (لقريز، 669).

- **الإجابة عن إشكال في تفسير معنى للآية: وذلك إذا أُجري الإعراب الظاهر في الآية لخالف معنى الآية للتفسير المتفق عليه، فيحاول قطرب إيجاد مخرج إعرابيّ يتفق مع المعنى (لقريز، 144)، وذلك في مثل قوله تعالى: {وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ} (الأعراف:50)، إنّ هذا الفعل لم يقع بعد، "والمعنى في نادى: ينادي؛ فصار هذا كقولك: ذهب زيد وقام عمرو، وأنت تريد يذهب فيما يستقبل؛ وقد جاء في الدعاء كثيرًا في مثل قولك: جزاك الله خيرًا؛ أي ليجزِك فيما تستقبل. ومثله قول الله عزّ وجلّ: {يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ} (الهمزة:3) أي يخلده (لقريز، 607). وهنا أجاز قطرب استعمال الفعل الماضي فيما يستقبل من الزمان للدليل الذي ذكره.**

لقد أحصى قطرب بعض الظواهر الإعرابيّة المتشابهة في القرآن الكريم، مثل: ما حذف فيه الخبر، الشرط وجوابه، القسم وجوابه، وغيرها من الظواهر. واستدلّ على آرائه في القضايا النحويّة بالشواهد اللغويّة من شعر ونثر، واعتمد على شيخه يونس بن حبيب، وركّز على اختلاف اللهجات العربيّة في قضايا نحويّة كثيرة، لذلك عدّ مصدرًا هامًّا في هذا الموضوع (لقريز، 145).

الخاتمة

بعد المقارنة التي عقدها البحث بين معاني الفرّاء ومعاني قطرب، يجد الناظر أن لكلّ واحد منهما ما يتميّز به عن الآخر، وقد خلص البحث إلى النقاط التالية:

- لم يبتدئ الفرّاء بمقدّمة لكتابه يبسّط فيها أسلوبه ومنهجه، أمّا كتاب قطرب وبسبب فقدان الجزء الأوّل لم يثبت عنده وجود مقدمة أو عدمها.
- اعتمد كلّ من الفرّاء وقطرب في عرض تفسيرهما غالبًا التسلسل التنازليّ وفقًا لترتيب الآيات في القرآن الكريم، وإن لم يلتزم الفرّاء بهذا الترتيب في بعض الأحيان.
- ابتدأ الفرّاء في كتابه بعرض الصورة الكليّة، ثم بعد ذلك فصّل المسائل اللغويّة، ووجّهها، وساق الشواهد عليها، أمّا قطرب فقد قسّم كتابه تقسيمًا منهجيًّا، وجعل كلّ سورة في أقسام ثلاثة: القراءات وتوجيهها؛ الغريب واللغات؛ ومشكل الإعراب، وإذ ما أراد القارئ أن يجتزئ قسمًا من هذه الأقسام ويجعله في كتاب منفرد عن الأقسام الثانية لأمكنه ذلك بكلّ سهولة ويسر.
- درس الفرّاء في معانيه القضايا اللغويّة دراسة شاملة، إذ دمج بين علم معاني القرآن وعلم إعراب القرآن في مؤلّف واحد، وأصبحت مواضيع كتابه تطبيقات للنحو الكوفيّ، بسط فيه الخلافات النحويّة بين مدارس النحو أكثر منها في بيان وتفسير القرآن، أمّا معاني قطرب فهي مصدر هامّ لمذهبه وآرائه النحويّة، وهو مصدر في نقل آراء شيوخ المدرسة البصريّة في بدايتها.
- اشترك كلّ من الفرّاء وقطرب في المصادر السماعيّة، مع توسّع الفرّاء في الاستشهاد بالحديث النبويّ الشريف، وإقلال قطرب من الاستشهاد به إلّا في تفسير الغريب، وتفرّد الفرّاء بالاستدلال بالأمثال والحكم والإجماع والقياس.
- اتفاق الفرّاء وقطرب في جعل الشاهد القرآنيّ في المرتبة الأولى بين الشواهد، واستخدام الشواهد الشعريّة في تفسير الغريب.

- **تناول الفرّاء وقطرب ما أشكل من الآيات القرآنيّة، ويذكران آراءهما في ترجيح قراءة أو قاعدة نحويّة أو تخطئة رأي لأحد العلماء، فكانت معاني كلّ من الفرّاء وقطرب مجالًا واسعًا لطرح قواعدهما ومذهبيهما في النحو.**
- **عالج الفرّاء قضايا صرفيّة ونحويّة في كتابه، أمّا قطرب فبيّن الغريب من ألفاظ القرآن، وعالج ما أشكل من القضايا الإعرابيّة والنحويّة في القرآن.**
- **استطرد قطرب إلى المعاني المعجميّة للمادّة اللغويّة، واهتمّ بالمعنى الكليّ للكلمة وأصولها واشتقاقاتها.**

المصادر والمراجع:

1- **ابن جنّي، عثمان بن جني الموصلي،** الخصائص، **مصر: الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ط4، د.ت.**

2- **الذهبي، محمّد بن أحمد بن عثمان،** سير أعلام النبلاء، **التحقيق بإشراف شعيب الأرناؤوط، د.ب: مؤسّسة الرسالة، ط3، 1985.**

3- **الراجحي، عبده،** دروس في المذاهب النحويّة، **بيروت: دار النهضة العربية، د.ط، 1980.**

4- **الزُّرْقانيّ، محمّد عبد العظيم،** مناهل العرفان في علوم القرآن، **د.ب: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط3، د.ت.**

5- **السيوطيّ، عبد الرحمن بن أبي بكر،** الاقتراح في أصول النحو وجدله، **تحقيق وشرح محمود فجال وسمّى شرحه (**الإصباح في شرح الاقتراح**)، دمشق: دار القلم، ط1، 1989.**

6- **الطيّار، مساعد بن سلمان بن ناصر،** أنواع التصنيف المتعلّقة بتفسير القرآن الكريم، **السعوديّة: دار ابن الجوزيّ، ط2، 1423هـ.**

7- **عيد، محمّد،** الاستشهاد والاحتجاج باللغة، **د.ب: عالم الكتب، ط3، 1988.**

8- **ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء،** الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، **بيروت: دار الكتب العلميّة، ط1، 1997.**

9- **الفرّاء، يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور،** معاني القرآن، **تحقيق أحمد يوسف النجاتي ومحمّد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، مصر: دار المصريّة للتأليف والترجمة، ط1، د.ت.**

10- **القفطيّ، علي بن يوسف،** إنباه الرواة على أنباه النحّاة، **تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار الفكر العربيّ وبيوت مؤسّسة الكتب الثقافيّة، ط1، 1982.**

11- **أبو كتة، محمود أحمد،** دراسات في النحو العربيّ، **د.ب: د.د، ط1، 1987.**

12- **الكفويّ، أيوب بن موسى،** الكليّات معجم في المصطلحات والفروق اللغويّة، **تحقيق عدنان درويش - محمد المصريّ، بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ط، د.ت.**

أبحاث ورسائل جامعيّة:

1- **جبالي، زياد محمود حمد،** معاني القرآن بين الفرّاء والزجاج دراسة نحويّة، **نابلس: جامعة النجاح الوطنيّة، رسالة ماجستير، 2001.**

2- **الخفاجي، نصيف جاسم محمّد،** معاني القرآن بين الأخفش والفرّاء دراسة لغويّة موازنة، **بغداد: جامعة بغداد، أطروحة دكتوراه، 2002.**

3- **لقريز، محمّد،** معاني القرآن وتفسير مشكل إعرابه**: تأليف أبي محمّد بن المستنير قطرب دراسة وتحقيق، الجزائر: جامعة الحاج لخضر باتنة، كليّة العلوم الاجتماعيّة والعلوم الإسلاميّة،** 2015-2016.

4- **المنيع، ناصر بن محمّد،** منهج الفرّاء في عرض القراءات في كتابه معاني القرآن والترجيح بينها، **السعودية: جامعة الملك سعود، كليّة التربية، د.ت.**